AKADEMİK-US

Artvin Çoruh Üniversitesi
İlahiyat Araştırmaları Dergisi
Yıl: 2017, Cilt:1, Sayı:1
Sayfa:27-38

Artvin Coruh University
Journal of Teological Researches
Year: 2017, Vol:1, Issue:1
Pages:27-38

جامعة آرتوين جوروه
مجلة بحوث الإلهيات
السنة: ٢٠١٧، الجلد: ١، العدد: ١
الصفحة: 27-38

akademikus.artvin.edu.tr

CC BY

Semah Selim: Popüler Roman ve Romanın Kökleri

Samah Seleem: The Popular Novel and the Origins of the Novel

سماح سليم: الرِّواية الشَّعبيّة وأُصول الرِّواية

Memdûh Farrag en-Nâbî Muhammed Abdelrahim

Recep Tayyip Erdoğan Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Rize, Türkiye

Eser Bilgisi / *Article Info*
التعريف بالدراسة
Araştırma makalesi / *Research article* / المقالة البحثية

Sorumlu yazar / *Corresponding author* /الكاتب المسؤول/
Memdûh Farrag en-Nâbî
e-mail: elnaby75@gmail.com

Elektronik erişim / *Online available* /النشر الإلكتروني
21.06.2017

Anahtar kelimeler:
Semah Selim
Roman
Popüler roman
Çeviri

Keywords:
Samah Seleem
Novel
Popular novel
Translations

الكلمات المفتاحية
سماح سليم
الرواية
أصول الرواية
الأدب الشّعبي
الترجمة
الكتب السماوية

Özet

Bu çalışma öncelikle, Semah Selim'in romancılığın esaslarına dair araştırma ve incelemelerini tanımlamaya yöneliktir. Bu minvalde Arap romancılığına ait başarılı öncü çalışmalarda Avrupa romancılığından etkilenimin, Arap kültüründen ve özellikle Arap halk kültüründen etkilenim ölçüsünde olmadığı betimlenmiştir. Her ne kadar yazar, temelsiz tercümelerin revaç bulmasında popüler romanların baskın etkisini gündeme getirmiş olsa bile yazarların konu seçiminde toplum zevkinin ve ilgisinin önemli rollleri olduğu bir vakıadır.

Abstract

This study primarily aims at introducing Dr. Samah Seleem's work and academic endeavor concerning the popular novel and its origin/ the origin of novel to the readers. Her work has revealed that the beginnings of that novel are not attributed to the impact of European achievements. Rather, they could be attributed to the Arabian legacy and its popular roots in particular as the audience has played a major role in directing the writers' attention to their areas of interest. However, the author thinks that the popular novels had tremendously led to the preponderance of fake translations.

الملخّص

تَسعى هذه الدراسة أوّلًا للتعريف بجهود الدكتوره سماح سليم، واشتغالاتها بالبحث عن أصول الرواية، والتي انتهت فيها إلى أنّ إرهاصات الرِّواية العربيّة لا تعود لعلاقة تأثُّرها بالنتاجات الأوروبية، بقدر ما هي تعود إلى تأثُّرها بالتراث العربي، وخاصَّة الشّعبي. حيث كان لذائقة الجمهور الدور الكبير في توجيه الكُتَّاب حول الموضوعات التي يهتمون بها، وإن كانت تَرى المؤلفة أن الرواياتِ الشَّعبيةَ كان لها دورٌ مُهمٌّ في رواج الترجمات الكاذبة.

سماح سليم: الرِّواية الشَّعبيّة وأُصول الرِّواية

مدخل

واجهت الرواية العربيّة منذ نشأتها إشكاليات كثيرة، إلا أنَّ إشكالية البواكير الأولى أو الريادة تُعَدُّ (وما زالت) وَاحِدةً مِن أهمّ الأزمات التي واجهت مؤرخي الأدب؛ فالحقيقة التي لا مراء فيها أنّ كلَّ دَارسي الرواية توقفوا عند مسألة التأسّيس وإشكاليات البدايات؛ فقد انشغل النقاد والباحثون بمسألة النصوص الأولى والبحث عن أصولها وأسبقيتها، ومن ثم فأولوها عناية لافتة، خاصّة بعد الانتكاسات التي توالت على المثقف العربيّ، هربًا من الواقع إلى «مراجعة البدايات الأبعد في أوائل القرن التاسع عشر، وربما أبعد في محاولة لفهم واقعهم»[1] كما يقول الدكتور خيري دومة. الاهتمام بالنصوص الأولى ليس وليد هذه اللحظة بل هو قديم قدم الرواية نفسها، وقد ظهرت بوادر هذا في كتابات عبد المحسن طه بدر في كتابه "تطور الرواية الحديثة"، ثم في دراسات الدكتور عبد الله إبراهيم حيث توقف في سفره "السّردية العربيّة الحديثة" عند المدونة السّردية في القرن التاسع عشر، وأشار إلى انتزاع رواية "وَيْ، إذن لستُ بإفرنجي" لخليل أفندى الخوري الرِّيَادَة السّردية، وإن كان مستدلاً بما نشره شربل داغر عن الكتاب الذي صدر عام 2009 عن دار الفارابي. وفي سياق هذا دخلت نصوص كثيرة في دائرة الريادات الأولى، أشار مُكتشفوها إلى أنّها النتاجات الأولى للكتابة الروائية. في هذه الدراسة نُناقش جهود الدكتورة سماح سليم حول مسألة الريادة وإن كانت اعتنت أكثر بالروايات الشعبية وأعادت لها الاعتبار بعد أن كانت مجرد روايات تسلية، والأهم أنها أرجعت إليها الدور الكبير في عميلة في نشأة الرواية.

نشأة الرواية

الدكتوره سماح سليم[2] هي ناقدة ومترجمة وأكاديمية مصرية، تعيشُ في الغرب منذ زمن طويل، منذ أن هاجرت من مصر مع أسرتها وهي ابنة العاشرة، حيث عاشت في المملكة المتحدة وليبيا وفرنسا وألمانيا وهي مقيمة الآن في الولايات المتحدة الأمريكية، حصلت على درجتها الجامعية الأولى من كلية برنار في عام 1986، وعلى درجة الدكتوراه من قسم اللغات والثقافات الشرقية والأسيوية من جامعة كولمبيا فى عام 1997. وقد سبق لها التدريس فى جامعة كولمبيا وجامعة برنسيتون وجامعة بروفينس (الواقعة جنوب فرنسا على حدود إيطاليا). وهي الآن تُدَرِّسُ الأدب العربيّ في جامعة روتجرز بالولايات المتحدة الأمريكية، تتركز أبحاثها بشكلٍ أساسي على الأدب العربيّ الحديث، خاصّة منه على أدب القرنيْن التاسع عشر والعشرين في مصر وبلاد الشام، كما تُشرف على وحدة الأدب لبرنامج الدراسات التمهيدية لأبحاث الدكتوراه، الذى يحمل عنوان (أوروبا فى الشرق الأوسط) و(الشرق الأوسط فى أوروبا)، مع اهتمام أكثر بالأنواع السّردية مثل الرواية والقصة القصيرة ونظريات المقارنة فى الرواية والخطابات الثقافية عن الحداثة، وسياسة الترجمة فى السياقات الكولونيالية (الاستعمارية) وما بعد الكولونيالية (ما بعد الاستعمارية). كما تُمارس الترجمة حيث نقلت العديد من النصوص العربية إلى الإنجليزية ومن أهمها ترجمتها رواية يحيى الطاهر عبد الله «الطوق

[1] خيري دومة: دانييل ديفو: روبنصن كروزي "أول رواية معربة 1835" ترجمة مجهول، تقديم: خيري دومة ، دراسة : محمد سيد عبد التواب، المركز القومي للترجمة، سلسلة ميراث الترجمة، 2105، ص6.

[2] المعلومات الواردة عن الدكتورة مترجمة عن المنشور عنها بموقع الجامعة.

http://www.amesall.rutgers.edu/faculty-140/core-faculty/133-dr-samah-selim

والأسورة»، وقد حصلت بها على جائزة سيف غباش بنيبال3 عام 2009 وقد جاءت الترجمة بعنوان The Collar and the Bracelet. كما قامت بترجمة رواية ميرال الطحاوي «بروكلين هايتس»، بعد فوزها بجائزة نجيب محفوظ التي يمنحها قسم النشر بالجامعة الأمريكية 2010.

أطروحاتها عن نشأة الرواية وأصولها، تبدأ من رسالتها للدكتواره، وقد صدرت في كتاب بعنوان «الرواية والمتخيّل الريفيّ في مصر 1880 - 1952» وقد صَدَرَ باللغة الإنجليزية عام 2004 عن دار نشر Routledge Curzon، وهذا الكتاب يُعدُّ مِن أهم كتبها التي أصَّلَتْ فيها لفكرة أصول الرواية العربيّة المُنبثقة من الرواية الشعبيّة، وقد نشرت مقدمة الكتاب في مجلة الكرمل التي كان يصدرها محمود درويش في عدد 87 ربيع 2006 بعنوان «الفلاح والرواية الحديثة في مصر»[4]، والكتاب محاولة لتجاوز المعيار النموذجي السَّائد المُصاغ من جانب نُقاد ومؤرخين أدبيين للرواية العربيّة، وهذا الأنموذج - كما تراه - غائيّ، لذا سعت إلى «استكشاف تشكيل الجنس الروائي كعملية تكمن في صميم تجارب وإيديولوجيات اجتماعيّة مُعقدّة ومُتصارع عليها» مرتكزة على جهود باختين وريموند ويليامز، ولينارد ديفيز، التي رأت أهمية في العلاقات العضوية بين الثقافات والإيديولوجيا باعتبارها الفضاء الأساسي الذي تُنْتج فيه الأجناس الأدبية، وتوزَّع كسرديات اجتماعية مهيمنة (أو ضدّ الهيمنة)، وترى في العناصر الأساسيّة للرواية كاللغة والشخصيات ووجهة النظر، أهمية في أنْ تُصاغ من خلالها الهيمنات الاجتماعيّة الحديثة والجنس الروائي، وهو الأمر الذي يتيح للرواية بشكل عام قراءة تاريخ الرواية كتاريخ لحوار وصراع بين الطبقات والخطابات والإيديولوجيات.

الرِّيادات الأولى

جاءت صيحات سؤال البحث الريادة في إطار السبق الصحفيّ والتحقيقات الأدبية المُهمِّة، وهو الأمر المستمر حتى الآن؛ ففي شهر مارس الماضي (2017) أعلنتْ دار الكتب والوثائق القومية المصرية عن اكتشافها لرواية مجهولة للدكتور طه حسين بعنوان **"خطبة الشيخ"** 1916، والتي نشرت أوّل مرة في جريدة السفور عام 1916 وفق ما نشرته جريدة الحياة بمقالة سيد محمود[5]، وأعادت رواية خطبة الشيخ الإشكال القديم - الحديث إلى الواجهة مرة ثانية، فكتب الدكتور جابر عصفور مقالاً في جريدة الأهرام المصرية ساخرًا مِمّن زعموا أنّهم مكتشفوا الرواية[6]، وبالمثل أعاد الدكتور أنور عبد المغيث نَشْر مقالته عن الريادات بعنوان **"روايات السفور: قراءة في بدايات الرواية المصرية"**[7]، التي لا يرجع النشأة لصعود البرجوازية أو

[3]. جريدة الحياة في عدد 17089 بتاريخ 01/17/ 2010.

4. مجلة الكرمل التي كان يصدرها محمود درويش في عدد 87 ربيع 2006 بعنوان «الفلاح والرواية الحديثة في مصر».

[5]. سيد محمود: خطبة الشيخ، رواية مجهول لطه حسين، جريدة الحياة اللندنية، بتاريخ21 مارس 2017
http://www.alhayat.com/m/story/20859634#sthash.XT6ZtGC7.dpbs

[6]. كتب الدكتور جابر عصفورفي جريدة الأهرام مقالة بعنوان" عن ريادات الروايات العربية، تسرع وعدم أمانة" والمقالة فيها عتاب وتوبيخ
http://www.ahram.org.eg/News/202227/101/587146/مقالات-الجمعة/عن-ريادة-الروايات-العربية-تسرع-وعدم-أمانة.aspx

[7]. كان الدكتور أنور مغيث نشرها من قبل في مجلة "تايكي الأردنية" فى 9 ديسمبر سنة 2006، ثم أعاد نشرها من جديد في جريدة الأهرام بعد الأزمة بتاريخ الجمعة 24 من رجب 1438 هـ 21 أبريل 2017 السنة 141 العدد 47618.

البطل الفرد (**روبنسون كروزو**) حسب ما تتجه مدارس سوسيولوجيا الأدب ، فهو يرى مرجع نشأتها يعود إلى ارتباطها ببداية اقتحام المرأة للمجال العام وخروجها من جمودها التاريخي. لقد كانت الرواية فى بادئ الأمر فنا مترجماً، لاسيما عن اللغة الفرنسية ولقد لاقي نجاحاً لافتاً منذ ظهوره. فأشار الشيخ محمد عبده إلى ظاهرة شغف الشباب بـ «**الرومانيات**» ونبه إلى دراستها. وإن كان العودة للحديث في هذا الموضوع الذي قتل بحثًا تؤكد الأهيمة القصوى للنتاجات الأولى في تشكيل الرواية العربية، هذا من جهة ومن جهة ثانية تؤكد على حالة الثراء والعطاء التي قدمتها العقلية العربية في بدايات عصر النهضة وهو ما تجلّى في تعدُّد وثراء نتاجاتها الإبداعية والفكرية على حد سواء. ومع أهمية هذه المحاولات الصحفية التي لفتت الانتباه إلى نصوص مجهولة، إلى أنها جميعًا كانت أشبه بمقدمات تمهيدية، أو قراءات من الخارج لهذه السياقات، حيث الخطوة العلمية المدرسية جاءت في سياق البحث الأكاديميّ وما يتبعه من منهج علمي رصين بعيدًا عن الاجتهاد الشخصي، بمحاولة محمد سيد عبد التواب (الدكتور الآن) في أطروحته للماجستير لدراسة البواكير الأولى للرواية، وانتهى إلى أنّ رواية (وي ... إذن لست بإفرنجي) للبناني خليل أفندي الخوري وقد صدرت عام 1860م، هي أوّل رواية عربيّة مُتجاوزًا ما ذكره من قبل الدكتور جابر عصفور ثم حلمي النمنم لاحقًا، وإن كان وفقًا للتواريخ يُعتبر ما قاله الباحث الجزائري هو الأصدق، حيث روايته المُكتشفه تعود إلى عام 1847، أي قبل 13 سنة من صدور رواية خليل أفندي خوري صاحب جريدة "حديقة الأخبار" ومؤسّسها الذي وصفه "مارون عبود" بأنه "أوّل روّاد التجديد".

لا نغُالي إذا قلنا إن هذه المحاولات على تعدُّدها واختلافها وبحثها عمن هو صاحب الريادة، وإن كان هناك بحث عن الريادات المهمشة كما فعل الدكتور جابر عصفور في دراسة قيمة[8]، كل هذه المحاولات قد أَثْرَت السّردية العربيّة، بنصوص كشفتْ عن العقليّة العربيّة في هذا التاريخ الموغل في القديم، وطرائق التفكير المختلفة سواء على مستوى الكتّاب الذكور أو الرّجال، وأيضًا كشفت عن تاريخ موغل في القدم مِن ممارسات ذكورية ضدّ المرأة، على نحو ما حدث مع الرعيل الأوّل من الكاتبات مثل: عائشة التيمورية ومى زياده وملك حفني ناصف، ولبيبة هاشم، وقوت القلوب الدمرداشية ... وأخريات. ومع الأسف هو ما كشف عن تناقضات واضحة في العقليّة العربيّة والتي مارست إزدواجية ما في تفكيرها فمع شدة إيمانها بل ودعواتها إلى حرية المرأة واستقلاليتها وهدم نظام الأحاريم، إلا أنه على الجانب الآخر عندما رأت هذا الجزء يشاطرها غواية الكتابة ويبدع في موضوعات ظنت أنّها حكر عليها، ومن ثم بدأت الإكراهات والمصادرة لهذا الإبداع، وهو ما أدى إلى غيابه ثم اكتشافه لاحقًا.

محاولة البحث عن أصول النشأة والريادة أشار في بعضها كثير من النقاد إلى علاقة الرواية بالموروث العربي حيث المقامة التراثية، وقد اعتبر البعض المقالة بمثابة القنطرة[9] أو همزة الوصل بين

---

[8]. جابر عصفور:"فجر الرواية العربية: ريادات مهمشة"، مجلة فصول، عدد خصوصية الرواية العربية، ج 2، المجلد السادس عشر، العدد الرابع، ربيع 1998، ص 9 وما بعدها

[9]. محمد رشدي حسن، أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ص وينطبق مع هذا القول آراء يحيي حقي في "فجر القصة العربية" حيث يقول:" أن "المقامات" فى عصرها خطوة منطقية إذ أثرت شكلا موروثا وموضوعا معاصرا، فكانت قنطرة مقبولة فى ظروفها" راجع يحي حقي فجر القصة العربية، ص 19. ولا يختلف الدكتور طه وادي كثيرًا عن قول حقي فيقول هو الآخر: "لقد بعثت المقامة بشكل قوى وجاد فى بداية العصر الحديث، وكانت مصدر استلهام ووحى للراوية العربية الحديثة" طه وادى: مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية، دار النشر للجامعات، مصر، ط2، 1997، ص22، وبالمثل تذهب أنجيل سمعان إلى القول: "فبالرغم من أن المقامة فى أشكالها المختلفة كانت تفتقر بدرجات متفاوتة إلى مثل هذا الأسلوب النثرى، فإنها كانت تحوى دون شك البذور الأولى لنوع من القصص الذى يجمع بين الخيال والواقع أو بمعنى آخر لنوع من القصص الواقعى فى أولى مراحله" أنجيل بطرس سمعان: دراسات فى الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص24.

المقامة والرواية وإن كان هناك مَن بالغ ورأى أن محاولة بديع الزمان في مقاماته بمثابة أوّل محاولة عَرَّفَتْ العربية بالقصة، وإن كان محمد سيد عبد التواب يرى أن "الادعاء بأن المقامة تُسهم في بناء الرواية هو أمر يفتقر إلى الدقة"[10]، فالرواية تحمل مفهومًا جديدًا[11]، وخصائص فنية مُغايرة للخصائص التي احتوتها المقامة فنيًّا وأيضًا قيميًّا، ومع هذا فالمقامة هي أوَّل محاولة لاستلهام التراث العربي الرسمي بغض النظر حول القيمة الفنية لها باعتبارها شكلا قريبًا من الرواية. لا يغيب أثر المقامة في الروايات المترجمة، بل هو واضح في محاولة رفاعة الطهطاوي لترجمة "مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك" عبر العنوان.

تلت هذه المحاولات الجادّة عن أصول النشأة ، ثمارٌ طيبة تجلّت في اكتشاف الكثير من النصوص المجهولة، والتي كان لكثير منها الكشف عن العقلية العربية في هذا الوقت، وثراء حركة الترجمة التي كان لها أثر كبير في تشكيل النصوص حسب ما أورد البعض. فحركة الترجمة كما تقول الدكتوره لطيفة الزيات لكي تقوم بهذا الدور الإيجابي كان ولا بد من وجود طبقة من المتعلمين تعليمًا غربيًّا تتقبل الآثار الأوروبية ويجيد أحد أفرادها لغة أوروبية يتمتعون بالقدرة على تذوق أدب هذه اللغة قبل نقله إلى اللغة العربية. وكان لا بد ثانيًا من أن يكون لهذه الطبقة من سعة النفوذ ما يمكنها من أن تكون من أفرادها وممن تستطيع أن تجذب إلى دائرتها، جمهورًا قارئًا للأدب الغربي المترجم. وكان لا بد ثالثًا من تطوير وسائل النشر كالمطابع والجرائد، وخروجها من الدائرة الرسمية إلى الدائرة الشعبية أي من يد الدولة إلى يد الأفراد. ولم تتطور هذه الظروف الملائمة لنشأة حركة ترجمة الأدب إلا في أعقاب سنة 1870. وحين نشأت هذه الحركة تحكمت الظروف التاريخية في نشأتها، وشكلت إلى حد كبير تطورها فيما بعد[12].

وفي الحقيقة لا يخفى الدور المهمُّ الذي لعبته حركة الترجمة في هذا السياق ، فبقدر هذه الأهمية لما طرحته مسألة النصوص الأولى، وما كشفتْ مِن طرائق سردية وخصائص أسلوبيّة عكست سياقات تاريخيّة وثقافيّة كان لها تأثيرها الواضح، إلا أنّ أحدًا طِيلة الأعوام السّابقة لم يقفْ عند أوّل نصٍّ مترجم إلى اللغة العربيّة، مكتفين بتلك المُسلَّمات التي تشير إلى ترجمة رفاعة رافع الطهطاوي لرواية الكاتب الفرنسي فينيلون: **«مغامرات تيليماخوس»** التي ترجمها حين كان منفيًا في السودان أوائل الخمسينيات ونشرها لأول مرة في بيروت عام 1867، تحت عنوان «مواقع الأفلاك في مغامرات تليماك»، ثم إشارات أخرى إلى كتاب **"روبنسن كروزي"** ولكن بتسمية مختلفة: حياة روبنسون كروزو ومغامراته للكاتب الإنجليزي دانيال ديفو. لكن لم يَرَ أحد هذه الترجمة التي ظلّتْ تتردّد إشارات عنها في كتب تاريخ الأدب دون معرفة بالنّص الأوّل المترجَم الذي يسبق نصّ الطهطاوي وهو بتوقيع مترجم مجهول. ومن ثمّ تأتي أهمية رواية «روبنصن كروزي» 1835.

يتتبع الدكتور خيري دومة الإشارات التي لمّحت لهذا العمل وشهرته حتى وصلت إلى «العربيّ في خيمته» كما ورد في مقدمة النص باللغة الإنجليزية في طبعة نيويورك عام 1835، ومنها إلى أوّل إشارة

---

[10] محمد سيد عبد التواب: بواكير الرواية العربية، مرجع سابق، ص 67

[11] . يعود مصطلح الرواية إلى "حبيب بنوت" المحامي عام 1890، وإن كان قصرها على التسلية وتهذيب الأخلاق. أما الظهور الحقيقي للمصطلح فيعود إلى بيروت عام 1859، عندما قَدَّم خليل أفندي خوري روايته "ويْ لست إذن بإفرنجي" ثم ما أعقل هذا من ظهور مصطلح رومان، إلا أنَّ ترجيح الرّواد لمصطلح رواية يعود لموقف الثقافي الرسمي والديني مِن القصة راجع: جناب حبيب أفندى بنوت المحامى: المقتطف، قراءة الروايات، جزء 1، مجلد 15، أكتوبر 1890.، ومحمد سيد عبد التواب، بواكير الرواية، فصل نظرية الرواية، الفصل الثاني، من الكتاب.

[12] . لطيفة الزيات :" حركة الترجمة الأدبية من الإنجليزية.. إلى العربية في مصر في الفترة ما بين 1882 – 1925 – ومدى ارتباطها بصحافة هذه الفترة"، تحرير د. خيري دومة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، عدد 2513، 2017 راجع صفحات متعددة 37، 38، 40.

وردت عن الكتاب في المصادر العربية وقد وردت في كتاب إدوارد فان دايك عام 1897 «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع» وتوالي الإشارات فيمن أرّخوا لدور الترجمة في نشوء الرواية العربية وتطورها، وهو ما جاء في كتاب متى موسى عن أصول القص العربيّ الحديث عام 1835، حيث أشار إلى احتمالية أن يكون فارس يوسف الشّدياق هو الذي قام بالترجمة، كما يتطرّق الدكتور خيري إلى طرائق انتقال الترجمة الباكرة إلى المشرق العربي. ويَخْلُصُ الدكتور خيري في مقدمته بعد استقصاء لكافة التردّدات للعنوان إلى نتيجة مهمة فحواها أن أحدًا مِن هؤلاء لم يقرأ الترجمة ولم يتوقف عندها بالدرس ومن ثم جاء الخلط في اسم المؤلف الأصلي للعمل بين ريفو وديفو، أو عدم إشارته من قريب أو بعيد إلى اسم المؤلف الذي سيرجّحه محمد سيد عبد التواب في دراسته إلى أنه الشّدياق وفق دلالات عديدة سيذكرها منها: هجرة الشدياق إلى مالطة سنة 1834، وقد أقام فيها زهاء أربع عشرة سنة يَدْرُس في مدارس المرسلين الأمريكان، ومع أن اللُّغة العامية تسيطر على النص وهو ما جعل الباحث يتردّد في أن ينسب النص إلى الشدياق المعروف عنه حرصه على اللغة الفصيحة، إلا أنّه يقطع في النهاية ويُسلِّم بأنّ الشّدياق هو المعرِّب، كما يُفسِّر سبب انتشار العامية في النص، تجنُّبًا لمصير أخيه أسعد الذي تعرّض لضغوط حتى مات وهو في ريعان شبابه، بعد أن خَلَعَ مذهب والديه وتمذهب بالمذهب الإنجيليّ.

لا يقف الدكتور خيري دومة عند سؤال هل تكون هذه أوّل رواية تُترجم إلى العربية؟ وإنما ينفذ إلى إشكالية معقدة حقًا وتحتاج إلى باحثين للإجابة عنها فيطرح أسئلة مُهمّة مِن قبيل: ما موقع هذا الكتاب بين الكُتب الأولى المترجمة ـ أو حتى المطبوعة ـ بالعربية؟ مَن قام بترجمة الكتاب وطباعته؟وكيف وما قصته؟ وماذا فعل المترجم الأوّل بالنص الإنجليزي في القرن التاسع عشر؟ وعن أيّ طبعة من الطبعات الكثيرة للرواية قام بالترجمة؟ وبأيّ مستوى من اللغة العربية ترجم النص الإنجليزي؟ وإلى أيّ مدى أَدخل تعديلات على النصّ بحيث يتواءم مع الذائقة القصصيّة العربية في ذلك الزمان؟

يسعى الدكتور دومة للإجابة عن هذه الأسئلة، وإن كان في كثير منها يعترف بأنّه لا يمتلك لها إجابات قاطعة، فهو يقول «لا أحد يعرف على وجه التحديد الظروف التي أحاطت بترجمة هذه الرواية ونشرها، ولا مَن قام بالترجمة؟» حتى أنّه يفكّك المقولة التي قالها جورجي زيدان عن الشدياق وما أحدثته مِن تأثير على أجيال الباحثين، فقد كانت أشبه بالتابو الذي أحاط بالرجل حتى أثبت خداعها وتضليلها للباحثين حيث نسب كلّ أفعال الترجمة الخاصّة لكتب مطبعة مالطة للشدياق، في حين كان هناك مترجمون عرب أمثال عيسى الرّسام العراقي الكلداني والمصري حنا جولي. الإشكالية الثانية التي تثيرها هذه الترجمة عن علاقة الرواية المعرَّبة بالإمبريالية؟ وهذا موضوع آخر.

نحّت الدكتوره سماح سليم كافة المُسلَّمات السّابقة التي تعود بالرواية العربية إلى الترجمة كما جاء في حوارها مع أحمد ناجي[13]، خاصّة تلك المحاولات التي شهدت منذ فترة قريبة نسبيًا شدًّا وجذبًا، خاصّة بعد ما نشره الدكتور جابر عصفور في هذا السِّياق في كتابه **"زمن الرواية"**[14]، بأن رواية **(غابة الحق)** لفرنسيس المراش سنة 1865 هي الرواية الأولى[15]، ثمّ أعلن حلمي النمنم أن رواية **(غادة الزهراء)**

[13]. أحمد ناجي: «في تحد للمؤسسة النقدية والأدبية: د.سماح سليم: في البدء كانت الرواية الأعلي مبيعاً!»، أخبار الأدب، بتاريخ 5102/90/21.

[14]. جابر عصفور: "زمن الرواية" مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.

[15]. جابر عصفور: "فجر الرواية العربية"، جريدة الحياة، لندن ، بتاريخ 30 مارس 2011.

[16]لزينب فواز سنة 1899. هي صاحبة الريادة، إلى أن جاء الباحث الجزائري الطيب ولد العروسي مدير مكتبة معهد العالم العربي بباريس وذكر في مقالة أن رواية **(حكاية العشاق في الحب والاشتياق)** لمؤلفها الجزائري محمد بن إبراهيم الصادرة في العام 1847، هي الرواية الأولى وفقًا لتاريخ صدورها. استمرت محاولات الاهتداء إلى الأصول وهو الأمر الذي دخل حيز الإطار الأكاديمي بعيدًا عن الاجتهاد الشخصي، في محاولة محمد سيد عبد التواب في أطروحته للماجستير لدراسة البواكير الأولى للرواية[17]، وانتهى إلى أن رواية **(وي ...إذن لست بإفرنجي)** لخليل أفندي الخوري هي الرواية الأولى وقد حصل على طبعتها الثانية، وكانت تلك الطبعة قد صدرت عام 1860م، ووفقًا للتواريخ يعتبر ما قاله الباحث التونسي هو الأصدق، حيث روايته المكتشفه تعود إلى عام 1847، أي قبل 13 سنة من صدور رواية خليل أفندي خوري صاحب جريدة **"حديقة الأخبار"** ومؤسسها، الذي وصفه "مارون عبود" بأنّه "أوّل رواد التجديد". ومع الأسبقية الواضحة في التاريخ بالنسبة للباحث الجزائري إلا أن ثمة إصرارًا على أن الأسبقية لرواية خليل أفندي الخوري، وهو ما أكَّده الناقد عبد الله إبراهيم، وإن كان يشير إلى أنّه صاحب الفضل في تنبيه الباحثين لهذه الرواية وريادتها، كما جاء في مقالة له في جريدة الرياض بعنوان: «هل هو كشف سردي جديد أم تصحيح لخطأ قديم؟»[18]، ومع تقديره لجهد الباحث الذي يجب أن يُشكر إلا أنه يشير إلى أنه صاحب الدور الأول والذي غمطه الباحث حقّه، ليس هو فقط بل والصحفي عبده وازن الذي أشاد باكتشاف القاهرة لأول رواية عربية، وإن كان يغفر لوازن ما فعله لأنه على حد قوله «يحسب له أنه من بين المثقفين المنخرطين في الشأن الثقافي، أنه يلتقط كثيراً من الإشارات، ويعلّق عليها بجدية واضحة، وينشرها على الملأ في صفحات "الحياة" فيما يشيح كثيرون عن ذلك بوجوههم، وينكرونه إما جهلاً أو تجاهلاً»، أما عن دوره فيقول موضحًا: «كنت اطلعت على رواية "وي. إذن لست بإفرنجي" مصورة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت خلال صيف 2001، وكتبت عنها باعتبارها أول رواية عربية في سياق إعادة تفسير نشأة الرواية العربية، وخصصت لها موقعًا في كتابي "السّردية العربية الحديثة" الذي صدر في مطلع عام 2003 (ص 214-216) ثمّ في "موسوعة السرد العربي" التي صدرت في عام 2005(ص 418-420)[19] وأشرتُ إلى ريادتها في أكثر من مناسبة، ولكن جهل الباحثين الآخرين بالنص نفسه، وظروف نشره، حال دون الأخذ نهائياً بهذا الرأي بصورة واسعة، ناهيك عمن لا يعرف عن هذه القضية إلا معلومات مدرسية حول نشأة الرواية العربية"[20].

[16]. راجع مقدمة الرواية: غادة الزهراء، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2004. وبالمثل التحقيق الذي قام به الصحفي سيد محمود بعنوان: "الباحث المصري حلمي النمنم أثار القضية مجدداً . رواية زينب فواز هل هي أول رواية عربية فعلاً ؟"، جريدة الحياة، لندن، عدد 15198، صفحة 20 فنون وآداب، بتاريخ 06.11.2004.

[17] صدرت في كتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، بعنوان، «بواكير الرواية العربية: دراسة في تشكل الرواية العربية»، تقديم الدكتور سيد البحراوي، القاهرة 2007.

[18] د. عبد الله إبراهيم: «هل هو كشف سردي جديد أم تصحيح لخطأ قديم؟»، جريدة الرياض، بتاريخ (5 ذي القعدة 1428هـ - 15 نوفمبر 2007م - العدد 14388)

[19]. السابق نفسه.

[20]. السابق نفسه.

في دراستها الأخيرة **"وسائل تسلية الشعب: الترجمة والرواية الشعبية والنهضة في مصر"**[21]. عادت الدكتوره سماح سليم بشيء من التفصيل مع ذكر الأمثلة والنماذج، إلى ما طرحته من قبل في كتاباها **«الرواية والمتخيّل الريفي في مصر»**، عن الأصول الأولى للرواية، حيث تذهب إلى أن ثمّة نصوصًا أخرى تتقاطع في دائرة النتاجات الأولى للرواية، فترى «أن الجذور الأصيلة لفن الرواية تعود إلي ما قبل ذلك مع مترجمين وكُتّاب كانت أعمالهم الأكثر مبيعًا، وناشرين كخليل صادق عملوا لسنوات في سبيل تأسيس ما سموه بسوق عُكاظ لفن الرواية، وحروب شرسة خاضها هذا الفن الجديد مع مؤسسات النشر والتيارات السياسية والفكرية السّائدة في مصر في بداية القرن العشرين، حيث خسرت الروايات الشّعبية معاركها أمام الرّواية القومية التي أعدّ نُقادها كتابة التاريخ الأدبي بما يتناسب مع طرحهم»[22] .

وهي بذلك ترى أن النتاجات الأولى للرّواية تذهب بعيدًا عن فكرة التأثّر الغربي، أو الترجمة والتعريب التي أقرَّ بها الكثير من الباحثين، كما أنها تعود باللائمة على التعريب ذاته في أنّه نزع الشرعيّة عن هذا النتاج الأدبي (أي الأعمال الشعبية) وتهمشيه، بل وينجح في إعاقة أي دراسة جادة لجنس الرواية الأدبي باللغة العربية، بخلاف قالبه السائد البرجوازي والقومي بحق"[23]، وترى الكاتبة أن النظرية الأدبية في العالم اتجهت إلى دراسة الروايات الشعبية كروايات البنس المرعبة (Penny Dreadful) وروايات السلاسل (roman de feuilleton) على سبيل المثال كمجالات مهمة في البحث الأدبي في مختلف التقاليد القومية الأوروبية؟ وعلى غرار هذه المنهج تقول فلمَ لا نُولي الرواية الشّعبية في مصر القدر نفسه من الأهمية الأدبية ـ التاريخية والاهتمام النظري المتواصل نفسه كما أُولِي لمثيلتها في إنجلترا وإيطاليا وفرنسا؟ لا تكتفي بهذه الدعوة، وإنما تذكر الأسباب التي آلت إلى نزع الشرعية عن الرواية الشّعبية باللغة العربية، وتُجملها في الوضع الاجتماعيّ والثقافي التخصّصي لكلٍّ من الحداثة والقومية، ثمّ هيمنة مفهوم الذّات الليبرالي ـ القانوني الأوروبي، وما يتصل بها من مؤسسات التأليف وحقوق النشر في الميدان الأدبي، وأخيرًا للقالب الجدلي للحداثة العربية نفسها بتحويلها «المضمون» أو الهوية إلى صنم يُعبد.

الرّواية الشّعبية والانحدار الأخلاقي

مع بزوغ الرواية مع بدايات مشروع النهضة والتحديث اللّذَيْن شهدتهما المنطقة، ظهر ما يمكن اعتباره بذرة عداء بين المشروع النهضوي والثقافة الشعبيَّة، وهو ما لم يختلف عن أوروبا فأشكال الحداثة الأدبيّة في أوروبا حدّدت أيضًا مِن خلال خصومتها الأساسيّة مع الثقافة الجماهيرية وجماهير القُرّاء كما تقول الدكتورة سماح سليم[24]. مع بداية عصر النهضة قابل مصطلح الرواية المترجمة التي ازدهرت مع حركات الترجمة وعودة البعثات، الرواية الشعبية. ويجب التأكيد على أن الرواية الشعبية لعبت الدور الأهمّ في علاقة هذا الفن مع الجمهور، فَوِفْقَ الدِّرَاسَات التي أكَّدت على رواج سوق الرّواية الشّعبيّة، في هذه

[21]. جاءت الدراسة وفق كتاب جماعي بعنوان «عصور نهضة جديد إلى الأدب العالمي»، تحرير كل من بريندا دين شيلدجن، غانغ تشو وساندر غيلمان، ترجمة الدكتور علاء الدين محمود، سلسلة عالم المعرفة بالكويت رقم 417 – أكتوبر 2014، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب. الكويت، واحتلت دراسة الدكتور سماح الفصل الثاني من الكتاب .من صفحات 51. 76.

[22]. السابق نفسه: ص 63.

[23] السابق نفسه: ص 63.

[24]. سماح سليم: عصور نهضة أخرى، مرجع سابق، ص 56.

الفترة المهمّة من تاريخ نشأة الرواية (نهاية القرن التاسع عشر)، تبعًا لجمهور[25] هذه الرواية الذي هو من أبناء الطبقة الشعبيّة مِن حرفيين وفنيين وأصحاب أعمال يدوية، فإنّ الرواية في نشأتها وتطورها أيضًا مَدينةٌ إلى الجمهور مع اختلاف ذائقته التي كانت بمثابة سُلْطة حقيقية استطاع الروائيون أن يستجيبوا لمتطلباتها، فقدّموا هذه الروايات التي حققّت الانتشار، ثم حَدَثَ التراجع بعدما انحازت الطبقة المتعلِّمة لثقافتها، فجاءت الروايات المترجمة والمعرّبة، ثمّ في مرحلة الاحتلال غلبت الروايات التي تبحث عن الهوية، وتخلق الوعي بالحسّ القومي والمطالبة بإعادة الروح لقوى الشعب.

ففي كثير من الأحيان كانت تُكتب الرواية وِفْقًا لاستجابات الجمهور وشرائط ذائقته التي جعلت الكُتّاب يُقبلون على روايات العاطفة، والروايات البوليسيّة، غاضين الطرفَ عن الظرف الذي تمرُّ به البلاد في مواجهة الاستعمار، وهو ما جعلها عُرضة لسهام الانتقاد من قبل الغير مؤيدين لها، أو ما وصف بالخطيئة الكبرى بتعبير سماح سليم، حيث تجنبت الرواية الشعبية الجدلية الاستعمارية كليةً وسرد حكاية الهروب من الواقع المصري[26]. وقد ظهرت استجابة الكتاب لميول الجمهور في عناوين الروايات، باعتبارها العتبةَ الأبرز لشدّ التفات الجمهور، ودافعا لإغرائه بالقراءة، فبدأ الكُتّاب في مغازلة هذا الجمهور، بعناوين مثيرة تلفت الانتباه، فطغت على معظم عناوين الروايات في هذه الفترة، العناوين الفرحيّة[27]، التي توزَّعت بين الطَّابع البوليسي والطّابع الرُّومَانِسي، وبعضهم جمع بين الطابع البوليسي والرومانسي في العنوان على نحو ما عَنْوَن لبيب أبوستيت روايته «الأبرياء» بعنوان فرعي «أدبية غرامية بوليسيّة»، وكذلك رواية محمد رأفت الجمالي «قوت الفاتنة» فأردفها بعنوان فرعي هكذا: «تاريخية مصرية غرامية» ومع حالة الانجذاب من قبل الجمهور لهذه الروايات التي فضّلها على الروايات الرسميّة، كان النقاد لهم موقفًا آخرَ، برفضهم لهذه الرّوايات واعتبارها النقيض للرّواية الحديثة، واتهموها بأنها منفصلة عن الواقع المصري، حيث حلّقت في عواصم حضرية مبالغ فيها، فأضحت القاهرة في أحد صورها نموذجًا لباريس[28].

ومن هنا تأتي أهمية محاولة سماح سليم، وهذه الأهيمة ليست ناتجة لكونها تُعيد الاعتبار لهذه الرّوايات الشعبية وفقط، وإنما لأنّها تضعها على خريطة الأصول الروائية الأولى بتعزيز دورها في النتاجات الأولى. وإن كان هناك محاولات كثيرة سبقت محاولة الدكتوره سماح في الربط بين الدور الشعبي ونشأة الرواية كما ذهب عبد الحميد يونس في دراسته " الهلالية في التاريخ والأدب" [29] يتفق محمد سيد عبد التواب في الدور الشعبي في نشأة الرواية، فمع إنكاره السابق لعلاقة المقامة بالرواية، إلا أنه يثبت دور الأدب الشعبي في نشأة الرواية، ونفس الشيء نراه عند محمد سيد عبد التواب حيث أشار إلي "استعارت الرواية العربية فى مراحلها الأولى الكثير من أساليب وموضوعات ذلك الموروث الشعبي الذى لم يكن أمر التخلص منه سهلا، وعودة إلى روايات تلك الفترة تكشف مدى تأثر تلك الروايات بالملامح العامة للمرويات السردية سواء فى الأساليب، وبناء الأحداث، وبناء الشخصيات أو فى الأهداف العامة، وحتى الوظائف الاعتبارية القيمية، فالأعمال الروائية الأولى اتجهت الوجهة الحقيقية للفن القصصي الحديث وذلك بتمثيلها جو القصص

[25]. حول علاقة الجمهور بالرواية، يمكن الرجوع لدراسة ممدوح فراج النابي:" السُّلْطَةُ الخَادِعَةُ ... والوَعي الزَّائِف: جمهور الرواية .... رواية الجمهور" ضمن كتاب جماعي بعنوان:"بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات" تحرير الدكتور: عبد الوهاب صديق، وخليل حاوي، دار نشر شهريار، العراق، 2017.

[26].سماح سليم: مرجع سابق، ص 69.

[27]. المرجع السابق نفسه: ص 70.

[28]. عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية الحديثة في مصر، ص 178.

[29]. عبد الحميد يونس: الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى، القاهرة ص123

الشعبي وأسلوب بنائه، لقد كان التماثل كبيرا بين تلك الأجزاء المطبوعة من السير والخرافات والقصص الشعبية وكثير من حوادث الروايات وشخصياتها التى تكتب على غرارها، أو تقتبس وتحور أحداثها بما يوافق الذوق الشعبي السائد آنذاك"[30] ، وهو الأمر الذي يشير من جانب ثانٍ إلى دحض الآراء الذاهبة إلى القول بأن "الرواية الغربيّة المترجمة هى التى صَاغت الرِّواية العربيّة المؤلفة وأوجدتها"، فهو في رأيه هذا "زعم يفتقر إلى أى دليل واضح يؤكده، فالثابت أنه لم يتم ترجمة أى رواية إلى العربية ترجمة دقيقة وكاملة بالمعنى الحقيقى لمصطلح الترجمة، فالنصوص المُعَرَّبَة كانت تخضع فى تلك الفترة لذوق القرّاء ولنسق المرويات الشَّعبية، فالمترجمون أصبغوا على ما قاموا بترجمته سمات أدبهم الشّعبي، وهناك مَن جرّد الرواية مِن سماتها الفنيّة الخاصّة"[31]

العجيب أن هذه النتاجات الأولى إلى جانب ما لاقته من تهميش تعرّضتْ للسخرية والتقليل من قيمتها كما فعل عبد المحسن طه بدر[32]، وقد أرجع سبب الرواج الذي حققته في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، يعود إلى «نمو التعليم الجماهيري وصعود جمهور من القرّاء شبه المتعلمين الذين اضطروا إلى الهروب من واقع الاستعمار السياسي والاجتماعي المرير»، ومع الأسف أن هذ الجمهور الذي تشكّل على الروايات المربحة تجاريًّا وقصص المغامرات وروايات الجريمة، والذي عُرف بـ«الجمهور الشّعبي» كما وصفه صبري حافظ، كان عند عبد المحسن طه بدر «أنصاف مثقفين». مرجع هذا الازدراء للرواية الشعبية، إلى تراث عريض من الخطاب النقدي الحداثي والقومي، باعتبار أن هؤلاء المثقفين الذين حظوا بفرصة تعليم، وهو ما أهّلهم لتحسين وضعهم الاجتماعي داخل الدولة، وقد اعتبروا السردية الشعبية هي النقيض للسرد الحديث، وفي هجومهم عليها نسبوا إليها سبب حالة الفساد المصابة بها تلك الجماهير وعرَضًا لها. لكن الإدانة الحقيقية لهذه الروايات هي أنهم نسبوا لها تكريس الكسل وانتشار الرذيلة كما عزز الحكواتي في المقاهي الشعبية، بينما أسهمت على حد قول سماح سليم «تيمات السّير الشعبية والحدوتة الشّعبية العجائبيّة في إيمانهم بالخرافة واتصافهم بالسذاجة والعفوية»[33]. وهو الأمر الذي عُدّ موقفًا مجحفًا ضدّ هذه الأجناس الأدبية المتعلّقة بالثقافة الشّعبية، والأغرب أنّها مثّلتْ جزءًا كبيرًا من الخطاب النقدي في أوائل القرن العشرين. وقد تبلوّر هذا الخطاب في كتابات أحمد فتحي زغلول وقد ربط بين مشروع النهضة الاجتماعي والسياسي، وتدشين ثقافة أدبية منضبة أو سليمة. وعزا تخلُّف مصر إلى الانتشار الواسع لـ "القصص والخرافات" و«التافه من المطبوعات» و«كتب التهريج والروايات»، تواصل الدكتورة سماح سرد هذا التاريخ المجحف في حق الروايات الشعبية، الذي وصل كما تقول إلى أن مجلة المقتطف، في عام 1882، تُبرِّرُ عدم نشر هذه الرواية، في كلمة للمحرِّر، بالخوف من «الآثار الأخلاقية الخطيرة على عقول الشباب سريع التأثر من الجنسين»، وقد أخذ التحقير جانبًا آخر وإن كان أكثر تطرفًا، حيث ألقى بعض النقاد كما تقول المؤلفة، باللوم على الرواية الشعبية، فبسببها «وقعت مصر تحت السيطرة الاستعمارية لفرنسا وبريطانيا». علاوة على الأوصاف التي ألصقها بها كبار المثقفين، الذين ارتبطوا بمشروع النهضة والحداثة بدايات القرن العشرين، فمحمود تيمور الذي ربط بين الرواية الشَّعبية و"الطبقات الدنيا"، أما زكي مبارك فوصف مؤلفيها بأنهم ينتمون إلى "الطبقة الأدني من كُتّاب الأدب". وهو ما قاد هؤلاء الكتاب الذين كانوا

[30]. محمد سيد عبد التواب: " بواكير الرواية العربية ،....." مرجع سابق، ص 130 .

[31]. السابق نفسه، ص 131.

[32]. عبد المحسن طه بدر: " تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (1870 – 1938) مكتبة الدراسات الأدبية، عدد 32، دار المعرف، طبعة خامسة، 1992، ص 121.

[33] سماح سليم: "وسائل تسلية الشعب: الترجمة والرواية الشعبية والنهضة في مصر"، مرجع سابق: ص 66.

يمهدون لمفهوم نقدي جديد عن الأدب القومي، محددين سمات الرواية القومية في ثلاث خصائص هي البيئة والشخصية والزمن، وحددت البيئة المصرية والشخصية المصرية سواء من الحضر أو الريف مع إدراك للتاريخ القومي. وبما أن الرواية الشعبية قد تملّصت من المفاهيم القومية الخاصة بالذاتيّة والزمن والموقع، فأدرج الكتاب والنُّقاد الرواية الشعبية كنقيض للرواية الحديثة، فإن أحداثها تقع في أغلب الأحيان في صالونات البرجوازية الأوروبية وشوارع الإجرام في المدن الكبيرة الحديثة (باريس ولندن ونيويورك وبومباي والقاهرة). لكن الخطيئة الكبرى التي ارتكبتها الرواية الشعبية، هي تجنُّب الجدليّة الاستعماريّة كليةً، وسرد حكايات الهروب من الواقع المصري، وهو الأمر وِفْقَ التصنيف الأدبيّ "النهضوي" مصدر الانحدار الأصيل[34].

الترجمة الكاذبة

ومع الأهمية الكبرى التي عوّلت عليها الناقدة على "الروايات الشعبية" كمصدر لنشأة الرواية، إلا أن هذا لا يمنع من أن ترى مع هذه الأهمية أنها أسهمت إلى حدٍّ كبير في شيوع السّرقة الأدبيّة والتزوير وأيضًا ظهور ما يُسمّى بالترجمة الكاذبة، فمثلا مصطفى لطفى المنفلوطي الذي لم يكن يعرف أي لغات أوروبية قدّم ترجمات أصدقائه العامة للروايات الفرنسيّة في نثر عربيّ طليّ متناغم على حدٍّ قولها، إلى جانب أحمد حسن الزيات وخليل مطران، وقد وصل الأمر بطانوس عبده لأن يترجم من الذاكرة، ووفقًا لما أورده معاصره سليم سركيس "يحمل معه أوراقًا في أحد جيوبه ورواية فرنسية في الجيب الآخر، ثمُّ يُشرع بعد ذلك في قراءة بضعة سطور، ويعيد الرواية مرّة أخرى إلى جيبه، ويبدأ في الكتابة بخط أنيق ما استطاع أن يتذكره من بضعة الأسطر التي قرأها. ويظل يكتب طول اليوم من دون أن يشطب كلمة واحدة أو يعيد قراءة سطر"[35]

الشّيء الثّاني الذي تأخذه على الروايات الشعبية إلى جانب ظهور الترجمة الكاذبة، هو كسر هؤلاء المترجمين لقواعد المعجمية والنحوية للغة العربية الكلاسيكية، وهو الأمر الذي جعل كبارًا أمثال طه حسين والعقاد وصولاً بمحمد يوسف نجم وعبد المحسن طه بدر، يشعرون بالأسى والرثاء إزاء ما رأوه أنه حريات متجاوزة للحد الذي تعامل به هؤلاء المترجمون والروائيون الشعبيون مع اللغة العربية. تنتهي الكاتبة في مناقشتها للترجمة إلى أن الغالبية العظمى من الأعمال التي تدّعي أنها ترجمات ضمن مجموع الروايات الشعبية المصرية في مطلع القرن (الماضي) روايات مزيفة بهذا المعنى المحدّد. كما أنها ترى في حالة لو تمّ الأخذ مع رأي بيتر بوكس أن " أدب الجماهير" في حد ذاته مصدر خصب من مصادر الخيال الروائي، فإن هذا كما تأمل الكاتبة يشير إلى أن تاريخًا أدبيًا دقيقًا ومعقدًا من النظرية للرواية الشعبية العربية يغدو أمرًا أساسيًّا بالنسبة إلى إعادة قراءة بنّاءة لـ "النهضة" ككل.

وهو ما يُفضي حتمًا إلى نزع المركزية عن تفسيرات النهضة التخصصيّة كنوع من طريق تاريخي مسدود، بالإضافة ـ والكلام لسماح سليم ـ إثارة تساؤلات حتمية حول مفاهيم الثقافة القومية التقليدية، أو حول أنواع التشكل المعقدة والانتشار الاجتماعي للأجناس الأدبية.

خاتمة

[34] السابق: ص69.

[35]. في الأصل نقلاً عن لطيف زيتوني: حركة الترجمة في عصر النهضة (ص، 125) وسماح سليم، في ص:70.

سعت هذه الدراسة لمناقشة جهود الدكتور سماح سليم في البحث عن أصول الرواية، ودراساتها عن التي أولتْ الرواية الشعبية أهمية كبرى في نشأة الرواية، سواء على مستوى استعارة تقنيات الحكاية الشعبية التي كانت سائدة في ذات الوقت، أو في استجابتها لذائقة الجمهور التي كانت هي المعيار الأول في تحديد موضوعات الرواية، وانتهت الدراسة إلى أن هذه الرؤى التي تطرقت إليها الدكتوره سماح فتحت الباب لدحض الإدعاءات التي رأت في نشأة الرواية العربية أنها وليدة تأثر بالنتاجات الغربية التي أفرزتها حركت الترجمة، وأيضًا فتحت الباب أما الدراسات المتعلقة بدارسة تأثيرات الترجمة الأجنبية للروايات الغربية، وكيف أيضًا استجابت هذه الترجمة لطبيعة الجمهور. وإنْ كانت أظهرت ما عرف بالترجمة الكاذبة كما سبق أن وضحنا في متن الدراسة.

المراجع

أحمد ناجي: **"في تحد للمؤسسة النقدية والأدبية: د.سماح سليم"**، أخبار الأدب، بتاريخ 2015/09/12.

أنجيل بطرس سمعان: **"دراسات فى الرواية العربية"**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987

أنور مغيث: **"روايات السفور: قراءة في بدايات الرواية المصرية" جريدة الأهرام المصرية**، ملحق بتاريخ الجمعة 24 من رجب 1438 هـ 21 أبريل 2017 السنة 141 العدد 47618.

جابر عصفور: **"زمن الرواية"**، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.

جابر عصفور: **"فجر الرواية العربية"**، جريدة الحياة، لندن، بتاريخ 30 مارس 2011.

جابر عصفور:**"فجر الرواية العربية: ريادات مهمشمة"**، مجلة فصول، عدد خصوصية الرواية العربية، ج 2، المجلد السادس عشر، العدد الرابع، ربيع

جريدة الحياة، عدد 17089 بتاريخ 01/17/ 2010.

سيد محمود بعنوان: **"الباحث المصري حلمي النمنم أثار القضية مجدداً . رواية زينب فواز هل هي أول رواية عربية فعلاً ؟"**، جريدة الحياة، لندن، عدد 15198

عبد المحسن طه بدر: **" تطور الرواية العربية الحديثة في مصر** (1870 - 1938) مكتبة الدراسات الأدبية، عدد 32، دار المعرف، طبعة خامسة، 1992

عبد الله إبراهيم: **"هل هو كشف سردي جديد أم تصحيح لخطأ قديم؟"**، جريدة الرياض، 5 ذي القعدة 1428هـ - 15 نوفمبر 2007م - العدد 14388.

غانغ تشو وساندر غيلمان: **"عصور نهضة جديد إلى الأدب العالمي"**، ترجمة علاء الدين محمود، سلسلة عالم المعرفة بالكويت رقم 417 - أكتوبر 2014، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب. الكويت.

طه وادى: **"مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية"**، دار النشر للجامعات، مصر، ط2، 1997

لطيفة الزيات : **"حركة الترجمة الأدبية من الإنجليزية.. إلى العربية في مصر في الفترة ما بين 1882 - 1925 – ومدى ارتباطها بصحافة هذه الفترة"**، تحرير د. خيري دومة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، عدد 2513، 2017.

- _____: **"حركة الترجمة في عصر النهضة"** دار النهار، القاهر، 1994.

محمد سيد عبد التواب: **"بواكير الرواية العربية: دراسة في تشكل الرواية العربية"**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2007

محمد رشدي حسن: **"أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة"**، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

مجلة الكرمل التي كان يصدرها **محمود درويش**، عدد 87 ربيع 2006 بعنوان **"الفلاح والرواية الحديثة في مصر"**.

مجموعة مؤلفين: :**"بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات"** تحرير الدكتور: عبد الوهاب صديق، وخليل حاوي، دار نشر شهريار، العراق، 2017.